كلمة المجمعية الأستاذة الدكتورة لبانة مشوّح

في حفل استقبال عضو المجمع الأستاذ الدكتور إياد الشطي

27 تموز 2022

السيد الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الزملاء المجمعيون

أيتها السيدات، أيها السادة

نعاود اللقاء اليوم والسعادة تغمرنا، فما أجمل أن نُضيفَ إلى عِقدنا قامةً أضاءت ولا تزال سماء العلم، عطاءً أكاديمياً وطبياً لا محدوداً ببعديه الوطني والإنساني، وما فتئت تزداد ألقاً، وتزدان همةً، وتُثمر زرعاً طيباً لأجيال ستحمل الفضل ما حييت. يلتئم شملنا اليوم في استقبال زميل جديد نثق بأنه سيكون خير رديف لنا وداعم لجهودنا في إغناء لغتنا العربية، لغةِ الرسالة، والبلاغة، لغةِ الفكر والعلم، اللغةِ البديعة التي تملك كل مقوِّمات البقاء والارتقاء، لكنها تعاني عقوق أبنائها حيناً، وجهلهم بغزير مكنوناتها وبديع خصائصها أحياناً؛ لغةِ الماضي التليد، والمستقبلِ الذي نبتغيه للأجيال اللاحقة كريماً مجيداً مزدهراً.

والعلاقة بين اللغة والفكر علاقةٌ تفاعلية، علاقةُ تأثّر وتأثير؛ فكما أنّ اللغة وعاءُ الفكر ومرآةُ تطوّره وانعكاسُ نضوجه الحضاريّ أو محدوديته وقصوره

المعرفي، هي كذلك فاعلةٌ في الفكر، ومحفِّزة على تبديل أنماطه وسلوكيات حملتِه؛ فإن اغتنت تطوّر، وإن حُدّت وهزُلت قصُرَ عن مواكبة العصر وعلومه وأساليبه.

والترجمة أحدُ الروافد الرئيسية للمكنز اللغوي، لذا كان اتّساعُ حركة الترجمة وتعريب العلوم يواكبه بالضرورة اتِّساعٌ في المخزون المصطلحي للغة العربية، الأمر الذي أفضى إلى اتِّساع الأفق المفاهيمي للعقل العربي انعكس انفتاحاً فكريّاً ومعرفيّاً، ومنتجاً حضارياً أفادت منه البشرية جمعاء.

لكن التطوّر المذهل الذي نشهده اليوم للعلوم الحديثة التي بات العرب مستوردين لها لا منتجين، والتدفّقَ اليوميّ، لا بل اللحظيّ، لهذا الكمّ الهائل من المصطلحات العلمية في شتى الحقول المعرفية، والحاجةَ إلى نقل المعرفة وتوطينها، يحتِّمُ على المختصين، مترجمين ولغويين، بذل جهد مضن في إيجاد المقابلات العربية العلمية لهذا السيل الجارف من المصطلحات، مصطلحاتٍ سليمة في مبناها، دقيقةٍ في معناها، سهلةِ الإدراك، تُعين على بناء العقول وتوطين المعرفة، بما يُيسِّر الانتقال من استهلاك ثمرات العلم دون التمكّن من أدواته، إلى الإنتاج المعرفي.

من سدنة اللغة العربية كان العضو الجديد المنتخب الأستاذ الدكتور إياد الشطي، الذي كانت رحلته مع المصطلحات الطبية، وجهودِ توحيد المصطلح، وعناءِ البحث عن مقابلات عربية للحديث دائم التجدّد منها، رحلةً طويلة مضنية.

ولقد شرّفني مجلس المجمع الموقر بأن كلّفني بتقديم زميلنا الجديد؛ مُهِمّةٌ لا أخفي أنني استصعبتها، فكيف لي أن أُعرّفَ المعرّف، وأنّى لي أن أحيط بكل الإنجازات العلمية والمهنية والمجتمعية التي واكبت مسيرة حياته؟ لكن لا بدّ مما ليس منه بُدُّ.

في 27 من شهر تموز من العام 1940، أي في مثل هذا اليوم تحديداً قبل اثنين وثمانين عاماً، رأى الطفل محمد إياد الشطي النور في حي من أحياء دمشق القديمة الواقعةِ داخلَ السور، فتنفّس أصالتها وألِفت عيناه جمال تفاصيلها، فسكَنَه عِشقُها ولازمه في حلِّه وترحاله. وتيمُّناً بجمالها، طُبِعت نفسُه على تقديس الجمال بكل أطيافه.

ترعرع إياد في كنف أسرة شامية كريمة: والدته حياة الحلبوني رحمها الله، ووالده الدكتور أحمد شوكت الشطي رجلُ العلم الرصينُ، العفيفُ اللطيفُ المعشر، الفعّالُ للخير، نذر نفسه لخدمة المحتاج، وأفاد الناسَ من علمه وعمله، فكان من الرواد الأوائل الذين انصرفوا عن تدريس الطب باللغة التركية ورفعوا منار العربية المبينة وأعلوا صرحها وأثبتوا أنها اللغةُ المطواعُ القادرةُ على احتواء العلوم الحديثة كافة. ألّف أبو إياد في أكثر من فرع من فروع العلوم والمعرفة. له في الطب والتراث الطبي عند العرب خمسةٌ وخمسون كتاباً، أغنى بها اللغة العربية بالمصطلحات الطبية الحديثة وأحيا تاريخ الطب المجيد عند العرب. ألّف كذلك في العلوم الإنسانية، وكانت له نظراتٌ واجتهادات في الدين، بما أوتي من علم وإيمان، غيرَ مبالٍ بمخالفة الناس له في الرأي، طالما أنه لا يخالف السداد والحق. في كنف هذا العالِمِ الفاضل نشأ إياد، ومن نبعه اغترف.

بدأ مسيرة التفوق والتميز مذ كان طفلاً. أمضى المرحلة الابتدائية في مدرسة هنانو في جادة نوري باشا، وأنهى المرحلة الثانوية متخرجاً من ثانوية دمشق الأمريكية. لم يكن لديه ميل لدراسة الطب، فالتحق بعد حصوله على الثانوية العامة بالجامعة الأمريكية في بيروت. كان رياضياً مولعاً بكرة السلة والسباحة، لاحظ مدرِّبُه شحوبَه وضَعفَ أدائه، فأرسله إلى المستوصف، وظهر لاحقاً أنه مصاب بالحمى التيفية، فعاد إلى دمشق عام 1957. استعصى المرضُ ونَكَس مرات، وطال أمده، فألزمه الفراشَ نحو عشرة أسابيع. وهنا تدخلت الأقدار مرة أخرى لتغير مجرى حياته بالكامل. إذ دفع أبوه إليه أجزاءً من كتاب "علم الجنين" باللغة الإنجليزية التي كان يتقنُها، وطلب منه أن يُسهم بترجمته إلى العربية، ففعل. وذاك كان أول عهده الطويل بالطب، وأول جولة من معاركه مع المصطلح الطبي.

انتسب إلى كلية الطب في الجامعة السورية وتخرّج الأول على مجموع السنوات السبع بمعدّل امتياز بلغ 85.67% وكانت تلك أولَ مرة تَمنح فيها كليةُ الطب البشري هذا المعدّل الرفيع. واستمر شغفه، طوال تلك الفترة، بالبحث عن المقابلات العربية المناسبة للمصطلحات الطبية. ففي السنة الثانية في كلية الطب البشري طرح أستاذ الفيزيولوجيا أ.د. شفيق البابا على طلابه موضوعاً حديثاً جداً هو دور غدة التيموس في المناعة، وسأل: من منكم مستعدٌ لتحضير جلسة كاملة عنها؟ كان الموضوع جديداً يفتقر إلى المراجع العربية، لكن الطالب إياد المتمكنَ من الإنجليزية، المؤمنَ بمرونة العربية وغناها وقدرتها على إسعافه بما يلزم، تصدى للمُهِمَّة الصعبة وأنجزها بعد شهرين من البحث والتقصي

واقترح عدداً من المصطلحات الطبية. واستمرت رحلة توحيد المصطلح الطبي العربي وإيجادِ ما يوائمُ منها في الشكل أصولَ اللغة، وفي المضمونِ ودقةِ ما تحملُه من مفاهيم المادةَ العلمية المتجددة أبداً. وفي تحضيره رسالة التخرج عن حالات البطن الحادة كان مرجعه كتاب "الأمراض الجراحية" لمرشد خاطر وشوكت الشطي رحمهما الله، وكان قد مضى على وضعه ونشره قرابةُ ربع قرن؛ فوجد لزاماً عليه، من باب الغيرة على علمه ولغته، توحيدَ بعض المصطلحات، واستحداثَ أخرى تواكب تطور العلم وأدواته.

تزوّج بعد تخرّجه من زميلة مبرّزة بين أقرانها كانت نظيرته في تميّزه، هي السيدة الفاضلة الدكتورة هناء بيرقدار، ابنةُ حسن منير بيرقدار رئيسِ المحكمة العليا آنذاك، وأمينِ عام وزارة العدل في الوقت الذي كان فيه د. شوكت الشطي أيضاً أميناً عاماً لوزارة الصحة. لكن أحداً منهما لم يكن يعلم ذلك. رزقا بابنتين: لونة ودانة، هما وذريتاهما مصدرُ فخر.

بعد حصوله على الدكتوراه في الطب البشري من جامعة دمشق، سافر إلى الولايات المتحدة للتخصص، فحصل بين عامي 1964-1971 على التأهيل من بعض من كبريات المشافي ومراكز الأبحاث. يحمل شهادة البورد الأمريكي في علم الأمراض، ودبلوماً في أمراض الجملة العصبية، وآخر في الخلويات، إضافة لشهادة اختصاص لممارسة الطب والجراحة في واشنطن.

عاد إلى الوطن على الرَغم من كلّ المغريات، عاد ليجمع المجد من أطرافه، فيمارس اثنتين من أرقى المهن وأنبلها: الطب والتعليم. بالأولى يُبرئ الأجساد

من سقمها، وبالثانية يغنيها بزاد العلم ويبرئ العقول من رواسب الجهل والتخلّف والتعصّب الأعمى، ويسخِّرها لخدمة الإنسان.

هو اليوم أستاذ علم الأمراض في كلية الطب بجامعة دمشق، ورئيس مخبر علم الأمراض في كل من مستشفى الأسد ومستشفى المواساة الجامعيين. ورئيس مجلس أمناء جامعة القلمون ومستشار أكاديمي لرئيس جامعة الشام. ورئيس الرابطة السورية لعلم الأمراض، ورئيس المجلس العلمي لعلم الأمراض، وعضو مجلس أمناء هيئة التميز والإبداع.

أمّا وظائفه ومهامه السابقة فهي أكثر من أن يتسع لها هذا المقام. كان نائباً لعميد كلية الطب بجامعة دمشق ثم عميداً لها، ثم وزيراً للصحة طوال سبعة عشر عاماً استُحدِثت أثناءها خريطة صحية لسورية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وبنك الاستثمار الأوروبي وجامعة ليفربول، نجم عنها إحداث مشافي بـ 220 سرير في عدد كبير من المناطق بما فيها البوكمال والمالكية والقامشلي والحفة وبانياس والصنمين وبصرى وصلخد. وأحدِثت منظومة إسعاف متكاملة، واختصاصات طبية جديدة، وانطلقت الصناعة الدوائية وفق منهجية علمية ومعايير عالمية، وتحقق الاكتفاء الذاتي من الدواء الوطني بنسبة 91-93%. وارتفع برنامج التلقيح الوطني من 3 إلى 11 لقاحاً وشمل 99% من الأطفال.

حصل على جوائز تقديرية كثيرة منها: جائزة المجلس الأعلى للعلوم، وجائزة وليم لور للأبحاث، وجائزة الإنجاز العلمي، وجوائز للتميز والتقدير والإنجاز الإقليمي، وجائزة من الصليب الأحمر الدولي.

وبالرغم من كثرة مهامه وثِقَلِ أعبائه، حرِص أيما حرص على الإسهام في وضع المصطلح الطبي. فآثر عدم التقيّد بوضع كلمة مقابل كلمة، بل اعتمد مبدأ شفافية المصطلح وجلاء فهمه وسهولة إدراكه، واتّبع إلى ذلك سبيل التيسير دون التشويه سعياً لإيصال المفهوم الدقيق إلى طالب العلم، بما لا يؤدّي إلى الضياع المعرفيّ، وفي ذلك أصلاً مخالفة لوظيفة اللغة الأساسية في التعبير والتواصل. من هذا المنطلق اعترض على مصطلح "الاستماتة" مقابلاً معتمداً لـ Apoptosis ، إذ وجد فيه إبهاماً جعل المدلول يلتبس على الطلاب فيؤوِّله كلٌّ على هواه، واستبدل به "موت الخلية المبرمج"، ففهمها الجميع. وأذكر رأياً لأحد طلابه القدامى بأنه من القلّة الذين تُقرأ كُتُبُهم بلغة عربية سلسة واضحة، لا يُشتمّ منها رائحةُ ترجمة حرفية سقيمة، ولا تُثقِلُ على الطالب بألفاظ عسيرة على الفهم ومفاهيم عصية على الإدراك.

ومن جملة مساهماته الترجمية المشاركة عام 1994 في إعداد النسخة الرابعة من المعجم الطبي الموحّد. كما ألّف أربعة كتب في التشريح المرضي العام والخاص. وعُني بالمصطلحات الطبية العربية اشتقاقاً وترجمة وتوحيداً حين ترأس ثلّة من ستة أساتذة لترجمة كتاب روبينزRobbins في علم الأمراض، وكان منهم من درس في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وأوكرانيا وروسيا، مما صعّب المُهِمّة وجعل العمل مضنياً. كذلك برز جهدُه العلميُ اللغوي حين كان رئيسَ تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الطبية، ولا سيما في عدد كبير من المقالات والدراسات المنشورة في مجلات محلية وعربية وعالمية.

وبعد، فقد انتخبنا الأستاذ الدكتور إياد الشطي لثقتنا بأنه سيكون عضواً فاعلاً، لا بل محركاً نشطاً لجهود المجمع وعمل لجانه العلمية في إغناء العربية بفيض المصطلحات العلمية ولا سيما في العلوم الطبية الحديثة حيث التقدم متسارع إلى حد يكاد المختصون يعجزون عن اللحاق بركبه. ولا نروم من وراء جهودنا إلا صونَ اللغة العربية وإغنائَها وتجديدَ أساليبها في التعبير والبيان، من غير تحيُّفٍ لطبيعتها أو عدوانٍ على نسيجها المحكم المتين.

نبارك للزميل الكريم انضمامَه إلى القافلة، بل نبارك لأنفسنا وجوده بيننا. والله ولي التوفيق.